

مجالس المتذكير من كلام الحكيم الخبير وحديث المبشير المنذير وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين الكتاب الكريم : ﴿مُلك النبوة﴾ [1]) مجمع الحق والخير , ومظهر الجمال والقوة

المقسم الثاني : الآية الثانية وهي : 16 من سورة النمل

﴿>> وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علّ منا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين >>

المألفاظ والتراكيب :

الإرث : انتقال ما كان للميت إلى الحي فيقوم فيه الإرث مقام الموروث , سواء كان مالاً أو مُلكاً أو علماً أو مجداً , والمُراد هنا المُلك والنبوة , علّ منا : أعطينا العلم , ولم يذكر المَعْلَم — وهو الله — للعلم به فإن هذا التعلّم ليس من مُعتاد البشر ولما من طوقهم , منطلق الطير : نطقها وهو تصويتها وقد يطلق النطق على كل ما يصوت به الحيوان , فالحيوان ناطق والجماد صامت , وأوتينا : أعطينا , والنون في الفعلين للعظمة إذ هي حالته التي هو عليها , من كل شيء : هي على معنى الكثير , أو على معنى العموم الحقيقي فيما تقتضيه تلك العظمة ممّا يؤتاه الأنبياء والملوك , الفضل : الزيادة , المبين : الظاهر الذي لا خفاء به .

المعنى :

قام سليمان مقام أبيه داود عليهما الصلوة والسلام فكان في بني إسرائيل من بعد نبي ملكا , وأراد سليمان أن يُشهر نعمة الله ويُنوه بها ويدعو قومه إلى الإيمان به وطاعته , فدعا الناس وذكر لهم ما خصه الله به من علم منطلق الطير وعظائم الأمور ممّا هو خارق للعادة مُعجز للبشر آية على نبوته . وتحداهم بذلك الفضل الذي امتاز به عن جميع الناس وهو مُشاهد لهم لا يُمكنهم إنكاره . كما لا تُمكنهم مُعارضته .

فقهه وتحقيقه :

من ميزة الأنبياء عليهم السلام أن هم يخرجون من الدنيا دون أن يتعلّقوا بشيء منها فلا يُورثون ديناراً ولا درهما وإنّما يُورثون العلم , وفي الصّحیح : إنّ معاشر الأنبياء لا نُورث , ما تركناه صدقة , فلم يرث سليمان من داود مالاً وإنّما ورث ما نُوه بع من العلم والمُلك وما دل عليه ذلك من النبوة , وقد خصصه الله بذلك دون بقية إخوته .

□

تفرقة :

□ □ □ □ □ المشيئة الموروثة إن كان من أمور الدنيا وأعراضها وتناولات الأبدان ومُتصرفاتها ينتقل بذاته من الميِّت إلى الحي وينقطع عنه مُلك الميِّت، وما كان من صفات الروح فإنَّه لا يُفارق الميِّت — لبقاء الروح — وإن ما يقوم الحي مقام الميِّت في أداء ما كان يُؤديه الميِّت من أعمال مُتصفاً بمثل ما كان مُتصفاً به الميِّت، مُتحلِّياً بمثل حليته، فأرث سُلَيْمان للملك هو من المعنى الأول فداوود بعد موته لم يبق ملكاً، وإرثه للعلم والنُّبوة هو من المعنى الثاني فداوود بعد موته على علمه ونُّبوته.

تفرقة أخرى :

□ □ □ □ □ إذا كان الموروث مالاً فإنَّه يُسْتَحَقُّ بالمقاربة شرعاً، وإذا كان علماً أو نُبوَّةً أو مُلكاً فإنَّه لا تُسْتَحَقُّ بها، فلم يرث سُلَيْمان من داوود ما ورثه منه لأنَّه ابنه، وإن ما كان ذلك تفضُّلاً من الله ونعمة، ولهذا لما دعا سُلَيْمان النَّاسَ لم يذكر لهم أبوة داوود، وإن ما ذكر لهم ما كان به أهلاً لمقامه ممَّا خصَّه الله به من علم وقوة، ومظاهر المُلك ومُعجزة النُّبوة.

عجائب الخلقة وحكمة العربيَّة :

□ □ □ □ □ للحيوانات كلُّها فهم وإدراك وأصوات تدلُّ بها على ما في نفسها، وتتفاهم بها أجناسُها بعضها عن بعض، ومن تلك الأصوات ما يكون أخفى من أن يصل إليه سمعنا ومنها ما نسمعه، وممَّا نسمعه ما نفهم مرادها به ومنه ما لا نفهمه، فلا نسمع صوت النملة ولكننا نسمع صوت الهرة — مثلاً — ونميِّز بين صوتها الذي تدلُّ به على غضبها وصوتها الذي تدلُّ به على طلبها، وفي مملكة النمل ومملكة النحل — مثلاً — من النظم والترتيب والتقدير والتدبير ما لا يبقى معه شك فيما لهذه الحيوانات من إدراك وتمييز وما بينها من تفاهم، بل كثير من الحيوانات تصير بالترويض تفهم عن كثير من العبارات والإشارات وتأتي بالأعمال العجيبة طبق ما يراد منها وتدلُّ عليه فهذا أصل ما بلغت إليه من إدراكها ونطقها اللذين أخبرنا بهما القرآن، وتلك الغاية من الإدراك والنطق لنا سبيل لنا إليها لاختلاف الخلقة وجهل مدلولات الأصوات، وقد أدركها سُلَيْمان صلى الله عليه وسلّم بتعليم من الله كرامة له وآية على نُبوته ومُعجزة للنَّاس.

□ □ □ □ □ فمن حكمة اللُّغة العربيَّة المشريفة أن سمَّت أصوات الحيوانات نطقاً كما سمَّت — في المُتعارف — اللَّفظ الذي يُعبَّر به عمًّا في المضْمير نطقاً، لأنَّ الأصوات لغير الإنسان تقوم مقام الألفاظ للإنسان فهي طريق تفاهمها، وطريق فهم ما يُمكن للإنسان فهمها عنها، فلهذه اللُّغة ما أعمق غورها وما أدق تعبيرها.

